

أهمية الرحلات التجارية الآشورية إلى بلاد الأناضول في توطيد الصلات الحضارية خلال الألف الثاني قبل الميلاد

د. حسين ظاهر حمود*

ملخص البحث :

تعد الرحلات التجارية إحدى أهم وسائل إيصال مقومات الحضارة بين البلدان والممالك في العصور القديمة . وكانت للرحلات التجارية الآشورية أهميتها الواضحة في بداية الإلف الثاني ق.م في تعزيز الصلات الحضارية بين الآشوريين وبلاد الأناضول . إذ نتج عن تلك الرحلات نقل العديد من المقومات الحضارية من آشور إلى بلاد الأناضول في مجال: اللغة والكتابة والأدب وأساليب التعامل التجاري فضلا عن الأوزان والمقاييس والقوانين . كما كان لإقامة التجار الآشوريين في المراكز التجارية في بلاد الأناضول أثره في إقامة علاقات اجتماعية والزواج في بعض الحالات بين الآشوريين والبنات الأناضوليات.

Abstract

" Importance the safaring Assyrian Trade for solldity contacts
civilization with Anatolian country during the half first 2
millennium B.C "

The safaring merchandise are Importance methods arriving stanchions civilization between countries and kingdoms in Ancient periods .

Then Assyrian activity merchandise are very Imported and clear in beginning 2 millennium B.C . with Anatolian country . In addition to this contacts civilization more fixed resulted explain Assyrian shareholders commercial and transport distribution to Anatolia from Assur .

* أستاذ مساعد ، قسم حضارات الشرق الأدنى القديمة ، كلية الآثار

Then resulted this contacts to arrive much stanchions civilization language and writing , literature and Methods exchange merchandise , measurement , laws .

The Economic relations and social contacts in some cases leads to the question were Assyrian merchants sojourn styed for conducted their business and resulted in marriage between Assyrians and natolians girls .

المقدمة :

كان لإفتقار أرض الرافدين إلى بعض المواد الأولية أثره في نشأة التجارة وتطور حركة الاتصالات الخارجية مع الأقاليم والبلدان المجاورة ، وكانت أقدم تلك الصلات مع بلاد الأناضول التي جلبت منها أنواع من المعادن والأحجار لسد متطلبات حاجة السكان إليها ، وقد بدأت تلك الصلات منذ عصور مبكرة ألى أن وصلت إلى ذروتها في بدايات الألف الثاني ق.م ، اذ عكست النصوص المسمارية المكتشفة قيام التجار الآشوريين برحلات منتظمة لجلب تلك المواد ونشاطهم في عمليات النقل الذي أخذ الطابع الجماعي او ماعرف برحلات القوافل التجارية .

تعد الرحلات التجارية الآشورية على درجة من الأهمية وأبعدها عمقاً وتأثيراً في توطيد الصلات الحضارية مع مدن وأقاليم بلاد الأناضول . فقد عكست تلك الرحلات التجارية عن نتائج حضارية متنوعة خلال الألف الثاني ق.م شملت الاقتصاد والمعتقدات والأفكار ذات العلاقة بالعادات والتقاليد الاجتماعية فضلاً عن اللغة والكتابة (١) ...

فقد كان للآشوريين اتصالات تجارية متميزة مع السكان هناك واختلطوا معهم وأقاموا في مدنهم لفترات ليست بالقصيرة فكان لذلك آثارهم الواضحة في نقل كثير من الأسس والعناصر الحضارية إلى الأقوام القاطنة في بلاد الأناضول آنذاك ، ومما يثبت ذلك نتائج التنقيب في مواقع الآثار الأناضولية ، إذ قدمت معلومات دقيقة عن طبيعة الحقائق الاقتصادية والاجتماعية وألفت ضوءاً عن مديات تأثير الحضارة الآشورية فيها .

ومما ساهم في توطيد تلك الصلات الحضارية تشجيع الملوك الآشوريين وحكام مدن وممالك بلاد الأناضول على نشاط تلك الرحلات التجارية وتسهيل حركة التبادل والمداولات التجارية ، فضلاً عن تأمين طرق المواصلات الممتدة من نينوى وآشور تجاه

المحطات التجارية عبر شمال سوريا وإلى مراكز المدن التجارية في بلاد الأناضول^(٢) ، فضلاً عن الإشراف على تنظيم قوافل التجار وسيرها ومحطاتها وتزويدها بالمؤن والحماية اللازمة ... وكان من شأن هذه الإجراءات دعم نشاط تلك الرحلات والمواد التجارية المتبادلة والتي أفرزت نتائجها المهمة في نمو وتعزيز اقتصاد كلا الجانبين لما كان يحققه من مردودات مالية كبيرة انعكست على رفاهية الأفراد العاملين من التجار ومن ثم على أوضاع البلاد عموماً^(٣) . فقد كانت المملكة الآشورية آنذاك تعيش في زمن ازدهار وتمر بدورة قوة في عهد الملوك ايلوشوما وخليفته اريشوم وحفيده سرجون الأول الآشوري وقوة هؤلاء عمل على تقوية نشاط التجار الآشوريين وأعطاهم سنداً لمواصلة تلك الرحلات^(٤) ، ومن جانب آخر سعى أولئك الملوك جعل بلاد آشور مركزاً تجارياً وسوقاً رائجة لذا فتحو الأفاق لعمل السماسرة وجذب التجار الأجانب من خلال تشجيع مبادلاتهم ونقل الصادرات من بابل إلى آشور وإلى مراكز التجارة في بلاد الأناضول^(٥) .

وفي الحقيقة إن أعمال النشاط التجاري الآشوري بدأت منذ عهد الملك الآشوري ايلوشوما في بداية الألف الثاني ق.م ومن ثم تبع استمرار حركة هذا النشاط في زمن خلفاءه من الملوك^(٦) ، واستناداً إلى النصوص المكتشفة فإنه كان خلال منتصف القرن التاسع عشر ق.م ووفقاً إلى تخمين قدر بأكثر من ألفين من السكان الآشوريين كانوا يساهمون في الأعمال التجارية ، وبوجه التقريب حوالي ثلث هذا العدد كانوا يعيشون ويسافرون بانتظام إلى بلاد الأناضول ، وفي الواقع إن هذا الشمل الكثير للناس لا بد وأن أحدث نقلة نوعية مهمة في المجتمع الآشوري ، وكان له تأثيره الكبير في التواصل الحضاري ونقل مقوماته إلى المراكز التجارية (كاروم karum) الآشورية في بلاد الأناضول^(٧) .

وكما سبقت الإشارة فإن تجمع تلك الرحلات التجارية واستمرارها كان يعود إلى سلطة الدولة ورغبتها في دعم مقومات استمرار تلك التجارة وإيجاد المؤسسات الإدارية الكبيرة المشرفة على حركتها ومنها مؤسسة (معتمدي المدينة) وكذلك بيت المدينة (bit alim) التي أخذت على عاتقها مسؤولية حماية قوافل التجار في الطرق وجمع الضرائب والرسوم عن الصادرات والواردات وتخمين تكاليف الحسابات المركزية وتوجيه أعمال التجار ونشاطاتهم ، وإذا كان يتم ختم نهاية كل عقد تجاري (معاملة) بختم المدينة ، وبطبيعة الحال فإن هذه المؤسسات الرسمية كانت تؤدي دوراً مهماً في تنظيم حركة التجارة

والرحلات وتوسيعها ، ومن جانب آخر كان من شأن هذه الإجراءات جميعها أثرها المهم في نمو علاقات جيدة ووثيقة بين الإدارة المركزية والتجار بشكل عام ^(٨) .

لقد أسفرت أعمال التجارة الآشورية في بلاد الأناضول إلى عقد معاهدات تجارية بين ممثلي (معتمدي) المملكة الآشورية وحكام المدن الأناضولية التي كان التجار الآشوريين يقيمون فيها ويؤسسون لتجارهم معها ، وبحسب النصوص كان هناك مندوب آشوري في مدينة قانش (في كبدو كيا) يحمل ايششناككوم يمثل الإدارة المركزية الآشورية هناك ^(٩) .

لقد كان التجار الآشوريون يقيمون في معظم الأحيان بمدن مراكز التجارة الأناضولية ولمدد طويلة لغرض تصريف بضائعهم وتنظيم شؤونهم ومبادلاتهم التجارية ، فقد أطلق التجار الآشوريون على المؤسسة التي كانت تدير شؤونهم هناك (كاروم) والتي كانت أشبه بغرفة تجارة تدير أعمال ونشاطات التجار وسلامة قوافلهم بين بلاد آشور ومدن بلاد الأناضول ، كما كانت هذه المؤسسة تعمل على دفع الديون على البضائع ونظام ائتمان لضمان سلامة القوافل وما تحملها ^(١٠) . ووفقا لمضامين النصوص كان هناك احد عشر جالية تجارية آشورية في بلاد الأناضول من نوع (كاروم) وعشرة أنواع من (وابارتوم) كانت تمتد من آشور وحتى سهل قونيا ^(١١) . وبذلك كانت الاتصالات الآشورية الأناضولية ذات طبيعة تجارية متنوعة في الكاروم وخاصة في كاروم قانيش الذي ضمّ حياً مهماً خاصاً بسكن التجار الآشوريين ^(١٢) .

إلى ذلك فإن النصوص التجارية تكشف عن طبيعة المساهمات ومنها بشكل خاص إقامة الشركات التجارية أو المشاريع التجارية وبرز التجار وأسمائهم وعوائلهم ممن ذاع صيتهم في هذا المجال فضلاً عن الأرباح المتحققة من هذه المشاريع وتوزيع أموال المساهمين ، كما تتضمن تلك النصوص كيفية نقل البضائع وأنواعها بواسطة قوافل الحمير من آشور إلى بلاد الأناضول ، وكيفية بيع البضائع المصدرة وتصريفها كالملاص والقصدير أو المستوردة منها وعودة أولئك التجار إلى آشور بعد شراء شحنات من الذهب والفضة والنحاس ، فقد كانت هذه المعادن على درجة من الأهمية في الصناعات المعدنية الآشورية ^(١٣) .

لقد وجدنا من الضروري تقديم هذه التفاصيل عن الرحلات التجارية الآشورية لتوضيح الهدف الأساسي من هذا البحث وهو تبيان أهمية تلك الرحلات في الجانب الحضاري .

إلى ذلك كان لإقامة التجار الآشوريين في مدن بلاد الأناضول لفترات طويلة أهمية في نقل مقومات حضارية إلى هناك ^(١٤) ، كما أن البعض منهم اختلطوا مع المجتمع المحلي وتزوجوا من البنات الأناضوليات ، فضلاً عن إقامتهم علاقات اجتماعية مع السكان القاطنين فيها ^(١٥) . وهو ما أدى إلى سعة عمليات التبادل التجاري شملت خلالها نقل عناصر حضارية وصلت حد التشابه وظلت هذه الصلات بين الأفراد والعوائل وتوارثها الأبناء عن الآباء فنقرأ بهذا الخصوص عن تزويج تاجر اسمه (اشيرو) ابنته خاتالا من تاجر آشوري ^(١٦) .

إن أولى المقومات الحضارية التي انتقلت إلى بلاد الأناضول من التجار الآشوريين كان استخدام الخط المسماري في توثيق التعاملات التجارية ، فقد عثر المنقبون في إقليم كبدودكيا على مجاميع من الرقم الطينية المكتوبة بالخط المسماري ، وكان القسم الأعظم من تلك المكاتبات كشف عنها في موقع كول تبه (قانش قديماً) شرقي فيسارية وقدر عدد تلك النصوص بنحو أربعة عشر ألف رقيم طيني ، دونت جميعها باللغة الاكديّة بلهجتها الآشورية القديمة ^(١٧) . مما يوضح أن التجار الآشوريين المقيمين في المراكز الأناضولية نقلوا إلى السكان أسلوب استخدام تلك الكتابة في توثيق المعاملات والمراسلات ، وقد استمر اقتباس الخط واستخدامه فيما بعد في المدونات الحثية الذين هاجروا إلى بلاد الأناضول فيما بعد ^(١٨) .

وهكذا أعد الباحثون انتشار الخط المسماري واللغة الاكديّة في بلاد الأناضول من أعظم الإسهامات الحضارية التي قدمها الآشوريون هناك ، فقد علموا السكان فيها ((كيف يكتبون الكلمة ويسجلون التاريخ)) ، كما تمخض عن انتشار الخط واللغة عن نتائج مهمة في انتقال الكثير من العادات والتقاليد والمفاهيم ... من خلالها إلى السكان في بلاد الأناضول ^(١٩) . وضمن هذا الجانب أيضاً تم الكشف في بلاد الأناضول عن بعض النصوص ضمت مواد قانونية مدونة بالخط المسماري واللغة الاكديّة (بلهجتها الآشورية القديمة) ،

وعلى الرغم من تلف معظم أجزائها إلا أنها تعد على درجة من الأهمية فهي تمثل من أقدم القوانين الآشورية المكتشفة ^(٢٠) ، ويفهم من بعض أجزائها المتبقية فقرات تخص شؤون المحاكم ومجالس القضاء التي أنشأها التجار الآشوريون في بلاد الأناضول للنظر في الدعاوي التي كان يتقدم بها التجار مع بعضهم البعض أو ضد السكان المحليين ^(٢١) .

ومن النتاجات الحضارية المهمة التي نقلها التجار الآشوريين خلال إلى بلاد الأناضول بعض التأليف الأدبية الشهيرة التي ذاع صيتها آنذاك ومنها ملحمة كلكامش ^(٢٢) كما وجد أجزاؤها مترجمة إلى اللغة الحثية فيما بعد أعمال الكشف التي تمت من النصوص في بوزازكوي (حاتوشا عاصمة الحثيين قديماً) ، فضلاً عن العثور على نصوص عن قصص قصيرة وأساطير أخرى فيها ومنها أسطورة الخليقة ^(٢٣) .

كذلك يظهر نتاجات ذلك التواصل الحضاري واضحاً في مجال بعض المفاهيم والمعتقدات الدينية انتقلت من خلال الرحلات التجارية إلى بلاد الأناضول ومنها في مجال أسماء الآلهة وطقوس المراسيم والشعائر وأداء التراتيل والرقى ، ومن أسماء الآلهة التي انتقلت إلى هناك أسماء الآلهة آنو ، انتو ، انليل ، ننليل ، ايا ، دمكينا ، وإله الشمس الذي عدّوه إله العدل والحق عند العراقيين القدماء ^(٢٤) .

إلى ذلك فقد تم العثور في مواقع الآثار الأناضولية عن نصوص مع تراجمها الحثية في مجال السحر ونصوص تخص أدب الفأل استمدت من الآشوريين منها في مجال فؤول الولادة وفؤول ظواهر الطبيعة (شمس ، قمر ، نجوم ...) وأسلوب فحص كبد الحيوانات التي كانت تقدم كقرابين آنذاك ^(٢٥) ، فضلاً عن مفاهيم تنبؤية تخص تفسير حركات الطيور وغيرها من المفاهيم ذات العلاقة بالسحر اقتبسها سكان الأناضول آنذاك من الآشوريين ^(٢٦) ، وكان يتم تفسير تلك الفؤول من قبل الكهنة بما ينبئ عن شؤون مستقبل الأيام في البلاد وحكم الملوك .

كذلك شملت بعض النتاجات الحضارية التي تأثر بها سكان الأناضول من الآشوريين بعض المناسبات والأعياد ومنها الأرض الذي يشابه مراسيم إقامته عيد رأس السنة (اكيو) ، فضلاً عن استخدام نظام المواقيت أو التقويم الآشوري ^(٢٧) .

ومن أكثر المظاهر الحضارية الذي ظهر أثره واضحاً في بلاد الأناضول جانب التنظيمات الاقتصادية الذي نقله الآشوريون إلى هناك ومنها الأوزان والمقاييس ^(٢٨) ، ويمكن التخمين إن أسس التعامل التجاري كانت تستند في البداية إلى مبدأ المقايضة إلا أنه ويتطور التعاملات التجارية ونشاطها اقتضت الضرورة إيجاد وسيلة لتسيير أسلوب التعاملات في الصفقات التجارية وتوزيع نسب الأرباح بين التجار المساهمين فكان أن استخدم سكان الأناضول الأوزان والمكاييل ذاتها التي استخدمت عند التجار الآشوريين ، كما يتضح ذلك من العقود المكتشفة ذات العلاقة بالحياة التجارية كالمنا والشيفل وأجزائها ، كما استخدموا معدن الفضة وأجزائه المذكورة بالأوزان كوحدات أساسية لتقييم الأثمان في مختلف التعاملات ^(٢٩) ، ويمكن الإشارة بهذا الخصوص إلى اثنين من النصوص عن ذلك .

((سوف ترسل لي ملابسها ولأجل ذلك يمكنني أن اعمل (لتحقيق) أقصى ربح لأجلهم شيفل فضة)) .

وفي مضمون النص الآخر ورد الآتي :

((أعمل أقصى جهدي لأجلي (وربما سأقدم) شيفل فضة لبيع ملابس شولوبكا)) ^(٣٠) .

وهكذا كان للرحلات التجارية الآشورية أهميتها في استخدام هذا الأسلوب التجاري في بلاد الأناضول ، إن مديات ذلك التواصل الحضاري شمل أيضاً تحديد تعريفات الأسعار ونسبة الأرباح بموجب نصوص موثقة بأسماء الشهود ، إذ أن سعة التعاملات التجارية وتطورها فرضت تنظيم هذا الشأن أيضاً ضمن مجموعة الشؤون الاقتصادية المتنوعة التي بها ونقلها إلى التجار الآشوريين إلى بلاد الأناضول ^(٣١) . وهكذا كانت هذه المراكز التجارية الآشورية في بلاد الأناضول مراكز إشعاع حضاري انتشرت فيها معظم عناصر الحضارة الآشورية وسادت مدة طويلة ، وقد ذكر باحث بهذا الخصوص : ((أدت العلاقات التجارية مع البلدان والأقاليم دوراً رئيساً في نقل النظم الاقتصادية والمالية بل إن بعض البلدان عاشت في ظل الأنظمة العراقية لفترة طويلة كما هي الحال بالنسبة لبعض أجزاء آسيا الصغرى ... والمراكز التجارية الآشورية فيها)) ^(٣٢) .

الخاتمة :

يتضح مما سبق عرضه في هذا البحث أهمية رحلات التجار الآشوريين إلى بلاد الاناضول على أوجه النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والحضارية في بداية الألف الثاني ق.م . فقد نتج عن عمليات التبادل التجاري لأنواع من المعادن كالذهب والفضة والنحاس والقصدير والمنسوجات تحقيق الارباح لاولئك التجار ، كما كان لتلك المبادلات آثارها الواضحة في تحقيق نوع من التكامل الاقتصادي بين بلاد الرافدين وبلاد الاناضول .

كذلك ساهم نشاط تلك الرحلات الآشورية إلى مراكز التجارة الاناضولية توطيد الصلات الاجتماعية مع السكان المحليين نتيجة اقامة بعض التجار في تلك المراكز وزواجهم من الاناضوليات .

إلى ذلك افرزت تلك الرحلات نتائج حضارية مهمة بين بلاد الرافدين وبلاد الاناضول ، اذ انتقلت الكثير من مقومات الحضارة العراقية إلى هناك .

الهوامش :

(١) عامر سليمان : النظم المالية والاقتصادية — الأصاله والتأثير في : العراق في موكب الحضارة — الأصاله والتأثير ، ج ١ ، ١٩٨٨ ، ص ٢٧٤ — ٢٧٥ .

(٢) المصدر نفسه : ص ٢٧٤ — ٢٧٥ .

(٣) حسن ظاهر حمود : التجارة في العصر البابلي القديم ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ١٩٩٥ ، ص ١٩٩ .

(٤) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي : تاريخ الشرق الأدنى القديم (إيران والأناضول) ، د . ت ، بغداد ، ص ٢٣٤ .

(5) Venhof , KR : Some Social Effects of old Assyrian Trade , Iraq , Vol. 39 , No. 1 – 2 , 1977 , P. 111 – 112.

(6) Lewy , J : Appropose of Aresent study in old Assyrian chronology , Or. Ns , Vol. 26 , 1957 , P. 23 .

(7) Venhof , op. cit , P. 109 .

(8) Ibid , p.112 .

(٩) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي : المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

(١٠) حسين ظاهر حمود : المصدر السابق ، ص ١٨٩ — ١٩٠ .

(١١) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي : المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

(12) Venhof , op. cit , P. 110 .

(13) Donbaz , Veysel : Four old Assyrian Tablets From the city of Assur , Jcs , Vol. 26 , No. 2 , 1974 , P. 80 .

(١٤) ابتهاج عادل إبراهيم الطائي : أصالة الحضارة العراقية القديمة وأثرها في الحضارات الأخرى في مجال العلوم الإنسانية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، ١٩٩٦ ، ص ٤٤ .

(15) Venhof , op. cit , P. 110 – 113 .

كذلك ينظر : ابتهاج عادل إبراهيم الطائي : المصدر السابق ، ص ١٧ .

(١٦) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي : المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

(١٧) عامر سليمان : الكتابة المسمارية ، موصل ، ٢٠٠٠ ، ص ٢٨ .

(١٨) عامر سليمان : اللغة الاكدية (البابلية الاشورية) ، موصل ، ١٩٩١ ، ص ٤٥ .

(١٩) فاضل عبدالواحد علي : الكتابة واللغة والأدب في : العراق في موكب الحضارة والأصالة والتأثير ، ج ١ ، ١٩٨٨ ، ص ١٩٤ .

(20) Drivor , G. R and John c. Miles : The Assyrian laws , Oxford , 1935 .

ينظر أيضاً : فوزي رشيد : الشرائع العراقية القديمة ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص ٧٧ — ١٧٩ .

(٢١) عامر سليمان : النظم المالية ... المصدر السابق ، ص ٣٨٤ .

(٢٢) فاضل عبدالواحد علي : المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

- (٢٣) ابتهاج عادل إبراهيم الطائي : المصدر السابق ، ص ٦٨ .
- (٢٤) سامي سعيد الأحمد ورضا الهاشمي : المصدر السابق ، ص ١٥٧ . ينظر أيضاً : حسين ظاهر حمود : المصدر السابق ، ص ١٩٩ .
- (٢٥) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي : المصدر السابق ، ص ١٥٨ .
- (٢٦) ابتهاج عادل إبراهيم الطائي : المصدر السابق ، ص ٦٩ .
- (٢٧) سامي سعيد الأحمد ورضا جواد الهاشمي : المصدر السابق ، ص ١٥٨ .
- (٢٨) حسين ظاهر حمود : المصدر السابق ، ص ١٩٩ .
- (29) Larsen , M. T : Old Assyrian Procedure Leiden , 1967 , PP. 98 , P. 100 , P. 111 , P. 108 .
- (30) Blacan kemal : Contribution to the Understan – ding of the Idiom of the Old Assyrian Merchants of kanis, Or. Ns, Vol. 36 , 1967 , P. 395.
- (٣١) وليد محمود الجادر ، التقنيات الأولى (العجلة وصناعة المعادن) في : العراق في موكب الحضارة – الأصالة والتأثير ، ج ١ ، ١٩٨٨ ، ص ٩١ .
- (٣٢) عامر سليمان : النظم المالية ... المصدر السابق ، ص ٤١٣ .